

الأبجدية الصوتية

للدكتور قسطندي الشوملي

(جامعة بيت لحم)

إن الكتابة ليست سوى صورة تقريبية للأصوات في اللغة، وهي لا تصلح لتمييز الاختلافات الصوتية الحاصلة بين مختلف اللهجات. فالحرف الذي يصور بشكل واحد في عدد كبير من الكلمات يأخذ في كل صورة من صورته قيمة صوتية مختلفة. ونظراً لعجز الكتابة الإملائية عن تمثيل أصوات اللغة، فقد جهد العلماء في إيجاد أبجدية صوتية لكتابة الحروف وقيمها الصوتية حسب أوضاعها المختلفة في الكلمة، كما فكروا في وضع أبجديات تهدف إلى تجنب عيوب الأبجديات المستعملة.

واعتمدت الأبجدية الصوتية الدولية المعروفة على رموز مأخوذة من الألفبائية الرومانية، بعد أن أدخلت عليها إضافات وتعديلات، فأخذت رموزاً إغريقية وعدلتها لتلائم أشكال الرموز الصوتية. كذلك استخدمت رموزاً صغيرة للإشارة إلى أن صوتاً قد اصطبغ بلون صوت آخر، كما استخدمت الحروف المائلة والكبيرة. وقد قامت القيم المعطاة للحروف على أساس التمييز بين الأصوات وخصائصها، فيكتب الحرف منفرداً لو كان لفظاً عادياً، في حين تضاف العلامات المميزة عندما يلفظ الصوت بصورة مخالفة للعادة. وعلى هذا الأساس تستطيع هذه الأبجدية الصوتية أن تمثل أصوات اللغات الحية والميتة وهي عالمية.

ويمكن اقتراح نظام عربي توضع من خلاله رموز لكل الفونيمات في اللغة العربية، فالاختلافات الصوتية كثيرة ومتنوعة. فحرف الألف في كلمة "كتاب" صوت طويل، في حين أنه في كلمة "باب" صوت قصير. والواو في الكلمات "يورد- مولود- يعود- يولد" لا تعبر عن قيم صوتية متساوية. وحرف القاف في كلمة "حق" غير القاف في كلمة "قاضي". واللام في "طلب" غير اللام في "ثلاثة"،

والنون في "من شاء؟ - من جاء؟ - من خرج؟ من غاب"، يختلف نطق بعضها عن بعض. كما أن شعور السامع بأن الحرف واحد في لغات مختلفة هو شعور خاطئ: فالتاء في العربية تختلف عن التاء في الإنجليزية، وهناك فرق دقيق بين نطق التاء في كل من اللغتين، فهو في العربية لثوي أسناني، وفي الإنجليزية لثوي فقط. وهذا الفرق الدقيق في اللغتين يقف أحياناً عقبة في نطق العربي للإنجليزية. كما أن حرف الباء في العربية يختلف عن صوت (b) في الإنجليزية. فكيف إذن يمكن وصف الأصوات العربية؟.

إن الكتابة العربية اهتمت بالأصوات الصامتة ورمزت لها برموز خاصة، ولم تهتم بالأصوات اللينة، وخاصة القصيرة منها، ولم ترسمها خطأً، مع أنها تتردد في النصوص بنسبة ٤٨%، كما يزداد عدد أصوات اللين في اللغة المحكية على ما هو عليه في اللغة الفصحى. ولكي تصبح الأبجدية العربية قادرة بنفسها على دراسة أصوات اللغة العربية وأصوات اللهجات العامية كلها، لا بد من أن نضع رموزاً لكل أصواتها. إن الأصوات في كل لغة أكثر من الحروف، فعدد الحروف الموجودة في أبجدية أية لغة لا يعبر عن جميع أصوات هذه اللغة، لأن فيها من الأصوات ما يفوق كثيراً رموزها الكتابية. وجدول الأصوات المستعملة في لغة ما لا يتعدى ستين صوتاً عادة. كما أن عدد الأصوات المستخدمة في جميع اللغات الإنسانية لم يستنفد كل الإمكانيات الصوتية للآلة المصوتة.

ونظراً لهذه الفروق بين ما ينطقه المتكلم وما تسجله الكتابة من نطقه، نستطيع أن نقول إن الكتابة العادية تكاد لا تؤدي، في أية لغة، أكثر من نصف الواقع اللغوي الملفوظ، خاصة وأن اللغة العربية تستغني عن جزء مهم من الأصوات المنطوقة، وهو الحركات. ونأمل أن تجرى محاولة جادة لوضع رموز عربية للأصوات العربية، تهدف إلى بيان ملامح الصوت الإضافية التي لا يمكن أن تظهر في الحرف الواحد.

دكتور قسطندي شوملي